الباب الخامس
أمريكا وإسرائيل والعلاقات العربية الإيرانية

العلاقات المصرية الإيرانية

يعود تاريخ العلاقات المصرية الإيرانية في العصر الحديث إلى القرن التاسع عشر حيث وقعت اتفاقية أرضروم بين الدولة القاجارية الإيرانية والدولة العثمانية والتي جاء فيها أن الدولة الإيرانية تستطيع تأسيس قنصليات لها في الولايات العثمانية فتم افتتاح قنصلية لرعاية المصالح الإيرانية في القاهرة، وكان أول سفير إيراني في مصر هو حاجي محمد صادق خان وقد أعقب ذلك توقيع اتفاقات صداقة بين البلدين عام ١٩٢٨ وكان تطورا جديدا في العلاقات بزواج يقرب بين العائلتين الملكيتين في الدولتين، حيث تزوجت الأميرة فوزية ـ شقيقة الملك فاروق الأول ـ من ابن الشاه الإيراني محمد رضا بهلوي وكانت العلاقات مقطوعة بشكل عام منذ الثورة الإيرانية في ١٩٧٩ بسبب استضافة مصر لشاه إيران السابق محمد رضا بهلوي ولا تزال العلاقات سيئة بسبب تسمية شارع في إيران باسم خالد الإسلامبولي الذي قام بقتل الرئيس المصري أنور السادات وزادت العلاقة سوء بعد عرض فيلم وثائقي من إنتاج إيراني يمجد قاتل أنور السادات .

محددات العلاقة المصرية الإيرانية العلاقة المصرية الإيرانية لها ثلاث محاور تتمثل فى طبيعة النظام الدولى ، الكيان الصهيونى ، الدور الاقليمى لكل دولة ومناطق النفوذ مشيرا إلى ان المحدد الدولى مهم

وسيؤثر على مستقبل العلاقات المصرية الإيرانية والكيان الصهيونى حدث له حالة عدم توازن بعدما شهد العالم العربى تلك الثورات والتى ستاتى بحكام من رحم تلك الثورات وسيكون ولائهم لشعوبهم وإيران بلا شك لها نفوذ اعتمادا على المذهب الشيعى سواء فى الكويت او البحرين وفى نفس الوقت لها نفوذ فى مناطق سنية فى سوريا وفى لبنان وفى فلسطين ولكن نحن لا نمانع فى ان يكون لإيران دور ونفوذ ومصالح لكن ينبغى ان نحدد هذا الدور وحجم هذه المساحة وعوامل الخوف من إيران تتحدد فى الاتى :المد الشيعى لمصر عن طريق نشر التشيع وهذه فزاعة كانوا يرهبونا بها سابقا فنحن شعب ليس خاويا فرفع شعار ارفع راسك فوق انت مصرى كان لشعورنا بالدونية بين الشعوب والسبب فى ذلك ما تسبب فيه حكامنا من مذلة فمصر دولة قوية ذات حضارة وذات ثقل سياسى ويجب ان تبحث عن مصالحها اينما وجدت وعن الضغوط الخارجية فهناك خريطة جديدة للعلاقات الدولية ستقوم على المصالح المشتركة وليس كما سبق وكل الدول العربية التى زايدت على مصر لمجرد أنها قررت ان تقيم علاقات مع إيران لها علاقات وطيدة بطهران منها على سبيل المثال الإمارات العربية هناك ٣٢ رحلة جوية بين دبى وطهران ١٢ مليار دولار حجم التبادل التجارى ١٠شركة إيرانية تستثمر فى دبى ٤٠٠٠سائح إيرانى يزورون دبى كل عام .

وبعد أن أعلن سياسيون مصريون وإيرانيون عن رغبتهم فى التقارب وإعادة العلاقات بينهما غادر الدبلوماسي الإيراني مصر بعد ان اتهمته السلطات المصرية بالتجسس في بلادها، وكان الدبلوماسي قاسم الحسيني يعمل ببعثة مكتب رعاية المصالح الإيرانية، وقد أعلنت مصر عدم رغبتها فى وجوده على أراضيها، إن العلاقات الدبلوماسية بين البلدين مقطوعة على درجة تبادل السفراء، وهي تقتصر على مستوى بعثة مكاتب لإدارة شئون مواطنيها الذين يتواجدون في البلد الآخر فقط، انقطعت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين منذ قيام الثورة الإيرانية سنة١٩٧٩وحاولت إيران في الفترات السابقة تحسين علاقاتها مع مصر ولكن لم تسنح لها الفرصة إلا بعد تنحي حسني مبارك عن السلطة واشارت كل البوادر الى نية الطرفين في تحسين العلاقات بين البلدين، الا ان هذه الحادثة ربما ستسبب تعثر العلاقات مرة ثانية.

والمذهب الشيعى يختلف كثيراً عن مذهب السنة وأهم ما يعيبه السنة على الشيعة: عصمة الإمام وسب الصحابة وخاصة وزيرى رسول الله ﷺ الكريمين أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب والسنة محقون فى هذين السببين الخطيرين وقد حفلت منابر مساجد أهل السنة فى مصر بالتحذير من الخطر الشيعى فى مصر فضلاً عن مهاجمة أفكار الشيعة خاصة فى مسألة سب الصحابة رضوان الله عليهم ولكن الأمر تعداه إلى رفض عودة العلاقات الدبلوماسية المصرية الإيرانية رغم أنه شأن سياسى

محض يخضع للمصلحة والمفسدة فى المقام الأول والآن أصبح معظم هؤلاء الدعاة قاب قوسين أو أدنى من حكم مصر وهؤلاء كانوا يرفضون من قبل عودة العلاقات الدبلوماسية المصرية الإيرانية فضلاً عن شنهم حملات دعوية مركزة على إيران نفسها باعتبارها حامية للشيعة فى العالم ومصدرة لفكره فى المنطقة العربية فماذا سيكون موقف هؤلاء الدعاة بعدما أصبحوا رجال دولة؟ وهل سيستمرون على موقفهم الرافض لعودة العلاقات المصرية الإيرانية؟ وكيف سيتحدثون عنها من منظور الدولة ورجالها؟ فإذا قالوا نقطع العلاقات الدبلوماسية مع إيران سيكون ذلك غير مبرر وغير مقبول لدى الجميع فكيف تقطع العلاقات مع إيران وتحافظ على العلاقات مع إسرائيل فإيران دولة إسلامية لا تحتل دولاً عربية وإسلامية وإسرائيل تحتل أرضاً عربية وبينك وبينها حروب طويلة أعقبها سلام بارد منفرد مع مصر والأردن وكيف لا تقيم علاقات مع إيران وأنت تقيم علاقات مع أمريكا التى كانت تحتل إلى وقت قريب دولتين إسلاميتين وقتلت فى العراق وحده مئات الآلاف ودمرت العراق وامتصت ثرواته هذه أسئلة منطقية سيواجهها هؤلاء بقوة سيقول البعض إن إيران تريد نشر المذهب الشيعى فى مصر على حساب السنة. حتى إذا حدث ذلك فأين دعاتك وعلماؤك ومخابراتك وأمنك القومى أليس للسنة علماؤها وفقهاؤها وحجتها القوية فلماذا نخاف هكذا؟ ولماذا الخوف من إيران المسلمة فقط التى تساعد فى قضايا إسلامية كثيرة

أهمها القضية الفلسطينية التى أضرت بإيران ضرراً كبيراً.
ينبغى على كل دولة أن توسع علاقاتها مع الجميع وفى نفس الوقت تحمى عقائدها وأفكارها وأمنها القومى دون أن تنعزل عن الكون ثم إن المشتركات بين مصر وإيران أكبر من المشتركات بين مصر وأمريكا وبريطانيا وروسيا والصين التى يحرص الجميع على علاقاتنا الدبلوماسية بها الآن ومستقبلاً.

وكل هذه البلاد لها أيديولوجيات وأطماع وسابق احتلالات وثارات بينها وبين معظم الدول العربية الإسلامية مع أن إيران ليس لها هذا الإرث الاستعمارى ثم إن ضابط علاقات الدولة الإسلامية بالدول الأخرى ليس الولاء والبراء الدينى كما يحدث فى فقه الدعوة ولكن ضابطه كما قال معظم الفقهاء هو المصلحة .

إن التقارب بين مصر وإيران لم يتحقق إلا فى المراحل التى يدور فيها البلدان معا فى فلك الاستراتيجية الغربية، أما فى فترات التحول الثورى فى أى من البلدين فعادة ما تنشط محاولات الوقيعة بينهما للحيلولة دون انخراطهما معا فى جبهة معادية للغرب. فقد لاحظت أنه لم تكن هناك أى مشكلة فى وصول علاقات التعاون بين البلدين إلى الدرجة التى تسمح لهما بعقد روابط مصاهرة بين الأسرتين الحاكمتين حين كان البلدان يدوران معا فى فلك الاستراتيجية الغربية، وهو ما حدث عام ١٩٣٩ حين تم زفاف الأميرة فوزية، شقيقة الملك فاروق، على محمد رضا بهلوى،

ولى عهد إيران فى ذلك الوقت ولأن الشاه تولى عرش إيران بعد عامين من هذا الزواج، فقد أصبحت الأميرة المصرية إمبراطورة متوجة على إيران ورغم أن هذا الزواج لم يدم طويلا، إلا أنه كان مؤشرا على أن أبواب التقارب بين البلدين بدت فى ذلك الوقت مفتوحة على مصراعيها غير أن رياح التغيير ما لبثت أن هبت على المنطقة لتباعد بين البلدين ففى عام ١٩٥٢ قادت جماعة الضباط الأحرار ثورة فى مصر تبنت سياسات وضعتها تدريجيا فى تناقض حاد مع المعسكر الغربى وحلفائه فى المنطقة، بينما اندلعت فى إيران عام ١٩٥٣ ثورة بقيادة مصدق نجحت المخابرات المركزية الأمريكية فى إجهاضها وإعادة الشاه المخلوع إلى عرشه لتصبح إيران بعد ذلك ولسنوات طويلة ركيزة السياسة الغربية فى المنطقة وكان من الطبيعى أن يؤدى هذا التحول إلى تباعد تدريجى بين البلدين لم يتوقف إلا بعد رحيل عبد الناصر وتولى الرئيس السادات مقاليد الأمور، لتبدأ مرحلة جديدة من التعاون، لكنها لم تطل هذه المرة بعد أن أصر التاريخ على تغيير مساره وعكس الأوضاع فى المنطقة رأسا على عقب فقد اندلعت ثورة إسلامية فى إيران هذه المرة وحوّلتها من دولة ركيزة للسياسات الأمريكية والإسرائيلية فى المنطقة إلى أكثر دول المنطقة عداء لهذه السياسات، بينما كانت مصر بقيادة السادات تتجه غربا وتتهيأ لإبرام معاهدة سلام مع إسرائيل ولأن السادات كان يرى فى إيران الشاه حليفاً استراتيجياً فى مرحلة التسوية

مع إسرائيل فقد بالغ فى عدائه للثورة الإسلامية إلى حد الإقدام على قطع العلاقات الدبلوماسية مع إيران الثورة لكن أكثر ما يثير الدهشة فى تاريخ العلاقات المصرية ـ الإيرانية هو أن العلاقات الدبلوماسية بين البلدين ظلت مقطوعة حتى يومنا هذا رغم رحيل السادات منذ ما يقرب من ثلث قرن، وهو أمر غير مألوف فى تاريخ العلاقات الدبلوماسية بين الدول لذا ما إن أطاحت ثورة ٢٥ يناير المصرية بنظام مبارك، الذى اقتفى أثر السادات فى سياساته تجاه إسرائيل والولايات المتحدة، حتى بدأت تلوح فى الأفق مرحلة جديدة لا مثيل لها فى تاريخ العلاقة بين البلدين فلأول مرة تبدو مصر وإيران وكأنهما مهيأتان للسير فى نفس الاتجاه، وأن الرغبة فى تطوير المصالح المشتركة تعلو فوق كل محاولات الوقيعة بين البلدين وكانت تلك هى الروح التى عكستها تصريحات وزير الخارجية المصرى لذا كان من الطبيعى أن تفجر هذه التصريحات آمالا وتوقعات كثيرة لدى النخبة الإيرانية بانفراج قريب فى العلاقات المصرية ـ الإيرانية.(١)

العلاقات المصرية الإيرانية تغضب إسرائيل وأمريكا

رحبت إيران بتصريحات وزير الخارجية المصرى حول الرغبة المصرية فى إعادة العلاقات المقطوعة بين البلدين فقد استقبل وزير

---

١) عن مقال للدكتور حسن نافعة ـ بتصرف

الخارجية مؤخرا رئيس قسم رعاية المصالح الإيرانية بالقاهرة لاستلام رسالة من نظيره الإيراني بشأن العلاقات مع إيران، ودعا إلي دراسة سبل تطوير العلاقات وذلك باستقبال وزير الخارجية المصري في طهران أو قيام وزير الخارجية الإيراني بزيارة القاهرة.

وفى المؤتمر الصحفي الأول للرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد في العام الجديد(يبدأ في٢١ مارس حسب التقويم الإيراني) أعلن أن بلاده ترغب في إقامة علاقات مع مصر وتأمل فى أن تضع تطورات المنطقة آفاقا مشرقة أمام الشعوب الإسلامية، وإننا نرغب دوما فى إقامة العلاقات مع جميع الدول والشعوب ما عدا الكيان الصهيوني لاسيما مصر ونأمل بان تجعل تطورات المنطقة آفاقا مشرفة أمام الشعوب الإسلامية إذن هي خطوات سريعة لتصحيح وضع خاطئ استمر لأكثر من٣٠ عاما متمثل، في انقطاع العلاقات الدبلوماسية الكاملة بين دولتين يحلو للمسئولين الإيرانيين وصفهما بأنهما جناحا الأمة الإسلامية، واقتصارها منذ عام١٩٩١ علي مكتب رعاية مصالح والعلاقات مع إيران وهي دولة مهمة في المنطقة شئنا أم أبينا كانت من بين ضحايا السياسة الخارجية لنظام حسني مبارك الذي عطل كل خطوات التقارب وافتعل خلافا ومنع إقامة علاقات دبلوماسية كاملة تقيم مثلها دولة الإمارات التي تتنازع مع إيران علي ملكية ثلاث جزر في الخليج وكان وزير الخارجية السابق أحمد أبو الغيط يري أن إيران خطر علي الأمن القومي المصري، وأنها

تسعي من خلال دعمها لحركه حماس الفلسطينية لإقامة دوله دينيه تمثل خطرا علي مصر، وأنها تخطط لذرائع وفتن تؤجج الصراع وتدفع نحو مزيد من المشكلات وعدم الاستقرار.

إيران التي رحبت بالثورة المصرية مثلما رحبت بها بقية دول العالم اتهمها أبو الغيط بأنها في تحالف غير مقدس مع أمريكا ضد مصر وذلك في معرض دفاعه عن النظام السابق في نزعه الأخير، مثلما اتهمت بأنها تعطل عملية السلام.

ومن قبل ذلك كانت العلاقات بين مصر وإيران ضحية لعداء الرئيس الراحل أنور السادات للثورة الإيرانية واستضافته للشاة الذي دفن في مصر بعدما لفظته الولايات المتحدة التي كان بمثابة شرطيها في المنطقة .

وكان إطلاق اسم خالد الاسلامبولي علي أحد شوارع طهران محل حساسية وحجة لقطع العلاقات، وقد أزيل الاسم ولكن أقيمت جدارية ومثلما لا يجب ألا يتم تخليد اسم قاتل السادات فانه لا يجب أيضا ألا يظل علم الشاه مرفوعا علي مقبرته في القاهرة.

ومع تحول السياسة الخارجية الإيرانية في عهد الثورة من صداقة إسرائيل واحتقار العرب إلي معاداة الكيان الصهيوني ودعم المقاومة، أضيف عنصر توتر جديد في علاقات البلدين غطي علي جوانب الاتفاق المتمثلة في كون البلدان هما القوتين الرئيسيتين في المنطقة ويجمعهما موقف واحد بشأن ضرورة إخلاء منطقة الشرق الأوسط من الأسلحة

النووية بموجب إقرار مشروع قرار اعتمدته الأمم المتحدة في ديسمبر ١٩٧٤ بناء علي طلب مصري إيراني ويتفقان علي أهمية عدم إعاقة الاستخدام السلمي للطاقة النووية في الأغراض السلمية وتطابقت وجهتا نظر البلدين في مؤتمر مراجعة معاهدة منع انتشار الأسلحة النووية الأخير بنيويورك الذي تحول إلي هاجس لدي إسرائيل التي تحتكر السلاح النووي في المنطقة.

وهناك الجانب الاقتصادي الذي أوضحه وزير التجارة الإيراني في ابريل الماضي في لقاء مع مندوب الأهرام بالعاصمة طهران حيث قال ان بلاده مهتمة بتوسيع نطاق العلاقات الاقتصادية مع مصر في إطار سعيها لتطوير العلاقات مع الدول العربية والإسلامية وهناك تبادل تجاري محدود يصل الي ١٠٠ مليون دولار واستثمارات إيرانية في مصر تبلغ ٣٦٠ مليون دولار من خلال ١٤ مشروعا تعمل في مجالات الصناعات الغذائية والمنسوجات والنقل والقطاع المصرفي وعلي الرغم من المسار التصادمي الذي اتخذه الرئيس الإيراني الحالي احمدي نجاد مع الغرب وتصريحاته النارية ضد إسرائيل والصهيونية وأمريكا، وإتباعه سياسة توصف بالتشدد، فان لغة خطاب نجاد تجاه مصر اتخذت نسقا مغايرا، حيث أكد في أكثر من مناسبة استعداد إيران لاستئناف العلاقات الكاملة مع مصر، وان طهران مستعدة لفتح سفارة في القاهرة في اليوم نفسه الذي تعلن فيه مصر استعدادها لذلك، وان الشعبين

المصري والإيراني صديقان.

للرئيس الإيراني السابق تصريح مفاده أن مصر وإيران جناحان للأمة الإسلامية لا تنهض إلا بهما، وان مصر تمثل ثقلا عظيما في الأمة الإسلامية، وكانت وستظل موقع الانطلاق لمبادرة التقريب بين المذاهب. ولكن عودة العلاقات ستواجه امتعاضا أمريكيا وإسرائيليا، ومعارضة قوية من جانب السلفيين المتأثرين بالفكر الوهابي والذين يرون في إيران الشيعية دولة كافرة وينشرون كلاما حول أن للشيعة قرآنا غير قرآننا وأنهم لا يؤمنون بنبوة الرسول محمدﷺ ولا يعرفون أن الإيرانيين لا يحلو لهم سماع القرآن الذي بين أيدينا وأيديهم إلا من المقرئين المصريين.

العلاقات السورية الإيرانية

في قراءة تاريخ العلاقات السورية الإيرانية غالبا ما يتم السؤال عن ما يلي : المباديء والأسس التي تقوم عليها هذه العلاقات والأسباب التي تجعل هذه العلاقات قوية ومستقبل هذه العلاقات

١. المبادئ والأسس التي تقوم عليها هذه العلاقات:

لقد شكلت ثوابت السياسة السورية ومشروعها الوطني والقومي كدولة محورية في الوطن العربي، إلى جانب التوجهات والإجراءات التي قامت فيها الثورة الإيرانية بدعمها وتأييدها للحق العربي الأساس في

العلاقات السورية الإيرانية المتوازنة والمتناسقة فعندما بدأت الشكوك تثار حول نية الثورة بتصدير نفسها إلى دول الجوار، اتخذت بعض الدول الإقليمية والعالمية مواقف غير مؤيدة ومن ثم معادية لها (الحرب العراقية الإيرانية)، ووقفت السياسة السورية إلى جانب الثورة الإيرانية مدفوعة بالحرص على تمكين الثورة الوليدة من الوقوف على قدميها والاستفادة من إمكاناتها ودعمها في مواجهة العدو الإسرائيلي وإخراج المحتل من أراضيها، والخوف من أن يتحول الصراع إلى غير وجهته الصحيحة.

وكما كانت العلاقات السورية الإيرانية محط اهتمام ومتابعة من القيادتين السورية والإيرانية لتقويتها وتطويرها وصولا إلى انجاز متطلبات ما تقتضيه عملية الوصول إلى علاقات إستراتيجية بين الدولتين، فإنها برزت كهدف للتأمر والتخريب في دائرة اهتمام القوى غير المؤيدة والمعادية تحت عناوين وحجج مختلفة يغلب عليها الزيف والتضليل، مما جعل السياسة السورية ترد عليها بزيادة التمسك بمبادئها الوطنية والقومية وبخيار المقاومة وتعزيز علاقتها مع إيران، ولكن مع الإبقاء على مساحة بينها وبين السياسة الإيرانية لتحافظ من خلالها على استقلالها وتحيزها لبعض القضايا الأكثر ارتباطاً بمصالحها العربية والدولية، وكما ربحت سورية بموجب هذا الاستقلال، لم تخسر إيران لأن المصالح الإستراتيجية لكلتا الدولتين بقيت مصانة.

وغني عن البيان أن إيران في بداية الثورة ليست كما هي إيران اليوم الدولة القوية (سياسياً، اقتصادياً، عسكرياً) والتي حجزت لنفسها مساحة إقليمية أكبر وأصبح لها دور إقليمي وعالمي وقوى رئيسية سياسية في كل من (العراق - لبنان - فلسطين)، وكما تقيِّم السياسة السورية هذا الدور لإيران ايجابياً ، فإنها في ذات الوقت تسجل على تفاصيله بعض الملاحظات التي كثيراً ما كانت تفسرها بعض الأوساط الصحفية والإعلامية والسياسية وكأنها حجر عثرة تحد من تطور العلاقات وتضع نهاية لها، وهذا دون شك يعود إلى خطأ في التقدير لأن الاختلاف هنا لا يفسد للود قضية وبالتالي فإن قوة العلاقات الإيرانية السورية وفتور العلاقات السورية مع بعض البلدان العربية لا يعني بأي حال تخلي سورية عن عمقها العربي الذي كان ولا يزال يحظى بأهمية خاصة في برامجها ودبلوماسيتها وأدبيات الحزب الحاكم فيها أما عن الأسباب التي تجعل العلاقات السورية الإيرانية قوية ففي اطار الأسس المشار إليها أعلاه يمكن القول أن هناك أسباب عديدة تجعل هذه العلاقات قوية من أهمها:

• موضوعية وشرعية الأسس التي تقوم عليها هذه العلاقات كونها تستجيب لتطلعات الشعوب في التخلص من الاحتلال وفي مسعاها لتحقيق حريتها واستقلالها، وتجسد إرادة ورغبة قادة البلدين الصديقين في أهمية هذه العلاقات التي امتحناها في أوقات المحن والشدة ووجدا فيها

سبيلاً ناجحاً في مواجهة الضغوط والمشاريع التي أثيرت ضدهما ووجهت للنيل من استقلالهما.

• أنها تأتي لترميم وتعويض حالة الضعف في المشروع العربي وتشتته الذي ظهر بشكل مكشوف في السنوات الأخيرة، عندما كانت سورية تتعرض لضغوط واتهامات ومؤامرات عدوانية خارجية تستهدف الوطن ومرتكزاته الأساسية، وكان بعض قادة النظام العربي يتباهون بمواقفهم مع الخارج المتآمر على سورية، وهذا ما يختلف عن موقف النظام الإيراني الذي ظهر ملتزماً بالدفاع عن موقف سورية ومعبراً عن تطلعات وأهداف الشعوب العربية والإسلامية، في مواجهة المشاريع المعادية التي كانت تحاول النيل من عزتهم وكرامتهم وتطلعاتهم الى التحرر والاستقلال والتنمية الوطنية.

وكان من الطبيعي أن تمتد آثار هذا الموقف والتعاون السوري-الإيراني إلى القوى المقاومة لتلك المشاريع في لبنان وفلسطين والعراق، وإلى حركات التحرر في العالم فأخذت منه واستقوت بمعطياته وأعطته بذات الوقت من رصيدها فزادته قوة، وهذا ما جعل من هذا التعاون عامل جذب واستقطاب للشرائح الأوسع والأهم في العالمين العربي والإسلامي وركيزة قوية يستند عليها أحرار العالم في نضالهم ضد الهيمنة والتسلط.

• إنها تأتي استجابة لحاجة كل من الطرفين لإضافة قوة جديدة إلى قوته لتعديل موازين القوى في إطار المواجهة التي فرضتها القوى المعادية عليهما، وقد دلت الوقائع على نجاح كبير في استخدام قوتهما معاً في مواجهة الضغوط التي فرضت عليهما ولا نعتقد أن من مصلحة أي منهما إضعاف هذه القوة أو التسبب في إحداث أي خلل فيها.

وهنا أنه في الوقت الذي لا تجد سورية أي مبررات لأن تذهب بمفردها لمواجهة الكيان الصهيوني أو إجراء التفاوض معه في مسعاها الدائم لاسترجاع أراضيها المحتلة دون حليفتها الأساسية إيران، فإن إيران هي الأخرى لا تجد مبرراً في مواجهة الضغوط الأمريكية والإسرائيلية والغربية التي تمارس عليها، دون حليفتها الإستراتيجية سورية التي كان لها دور مشهود في توضيح صواب الموقف الإيراني وتبديد الشكوك المصطنعة التي تسوّقها أمريكا وإسرائيل حول عسكرة برنامجها النووي وإيجاد الذرائع للعدوان عليها وتخريب منشأتها.

• وقياساً على ما تقدم نستطيع التأكيد على عدم وجود رغبة لدى أي من الطرفين في الاستغناء عن هذه العلاقة، لاسيما إذا ما أخذنا بالحسبان ميزة البراجماتية في سياساتهما وقدرتهما على صياغة علاقات جديدة مع الغرب أو غيره مع الحفاظ على علاقات قوية مع بعضهما، وهذا ما يظهر جلياً على صعيد السياسة السورية في الانفتاح الأوربي المتزايد

نحوها، بالتزامن مع استمرار لقاءات ومؤشرات التنسيق والتعاون الإقليمية الهادفة إلى تعزيز جبهة المقاومة على قاعدة عدم تقديم أي تنازلات أمام الضغوط الأمريكية والأوربية و التهديدات الإسرائيلية.

عالمية الخطر الصهيوني الأمريكي

النظرة الشعبية لإسرائيل أنها جزء من ظاهرة عالمية تريد أن تسيطر على مقدرات العالم، وهذه النظرة تنطلق من معاناة الإيرانيين من الصهيونية في زمن الشاه، وسيطرة الصهاينة وأمريكا على مقدّرات إيران من هنا فإن الخلاف مع الصهاينة ليس على هذا الجزء أو ذاك الجزء من أرض فلسطين ولا أيضاً على أرض فلسطين أجمعها، بل الخلاف على المخطط الصهيوني للاستعلاء على كل العالم وجرّ البشرية إلى حالة من الانحدار بحيث يمكن السيطرة عليها.

ولهذا فإن الشارع الإيراني رفض كلّ ما يسمى بمحادثات السلام جملة وتفصيلاً، وخطابه هو الخطاب الوحيد الذي يعلن أن حلّ مسألة فلسطين يكمن فقط فى تحريرها من براثن الصهيونية.

ولذلك لا تجد الفئة التي تعتقد بانفصال القضية الفلسطينية عن المصالح الوطنية الإيرانية، أو التي تدعو إلى موقف إيراني يبعد عن إيران خطر هجوم إسرائيلي صدى في الشارع الإيراني، بسبب هذا الفهم لطبيعة الصهيونية.

والملفت للنظر في موقف الشارع الإيراني من أمريكا أنه ينفرد في

المجموعة الإسلامية بعدم انجراف فئاته الإسلامية منذ الخمسينيات مع المشروع الأمريكي الذي استهدف تعبئة المشاعر الدينية لمواجهة الخطر الشيوعي كل الفصائل الإسلامية في إيران كانت ترفض ما يسمى بالإسلام الأمريكي الذي لا يقبل إلاّ إسلاماً يكافح الشيوعية دون أن يصطدم بالأطماع الأمريكية والغربية النظرة لأمريكا أنها وراء تثبيت نظام الشاه ووراء الغزو الصهيوني للمنطقة، ووراء محاولة إغراق الشباب في المفاسد والموبقات، من هنا كانت المجابهة الشعبية تتجه إلى مثلث أمريكا – الصهيونية – الشاه.

ولقد شهدت الساحة فيما بعد أحداث انقلاب أمريكا على حلفائها القدماء من التيارات الإسلامية بعد أن استنفدت أغراضها منهم، ثم شهدت الوقوف الأمريكي الصارخ في دعم إسرائيل حتى في أشد ظروف بطشها وإرهابها.

تسوية الصراع مع إسرائيل والعلاقات العربية – الإيرانية

هناك محاولات تسوية للصراع العربي – الإسرائيلي وفق مخطط أمريكي – صهيوني لإقامة نظام الشرق الأوسط في دائرتنا الحضارية الإسلامية وما يتضمنه هذا المخطط يحمل في طياته تأثيرات سلبية في العلاقات العربية – الإيرانية ولكي نحيط بهذه التأثيرات السلبية ينبغي أن نستحضر مخطط النظام، وقد صدرت كتابات جادة حوله في وطننا العربي، من بينها واحد أصدره مركز دراسات الوحدة العربية.

أول هذه الأمور أن هذا النظام موجه إلى الدائرة الإسلامية مكاناً بهدف تثبيت الكيان الصهيوني فيها والتحكم من ثم في أمورها وهو وثيق الصلة بالمخطط الأمريكي لإقامة النظام العالمي الجديد الذي رفع شعاره جورج بوش إبان أزمة المنطقة، وبما يتضمنه هذا النظام من جوانب تتصل باعتبارات السوق وقد أكد ساتو الياباني، مدير عام الأبحاث في مؤسسة دولية للسلام في طوكيو، في حديثه إلى جريدة الحياة يوم ٣١ / ٥ / ١٩٩٤ بعد أن زار المنطقة وجوب التعاون بين دول المنطقة لأنك إذا نظرت إلى تاريخها تجد أن الحدود الحالية لا معنى لها، وأن العلاقات الاقتصادية بين دولها إيجابية في كل الأحوال.

ثاني هذه الأمور أن هذا النظام بعد أن يعمد إلى تصفية قضية فلسطين دون إحقاق الحقوق الوطنية الثابتة غير القابلة للتصرف للشعب العربي الفلسطيني، ينصب من إسرائيل قائدة للمنطقة، تتحكم في سياسات دولها من خلال التدخل في ستة موضوعات، هي أنظمة الحكم والاقتصاد والبيئة والتسلح وتوزيع الثروات والسكان.

ثالث هذه الأمور أن هذا النظام يأخذ في حسبانه الأطراف الدولية، التي سيكون لها نشاطات في المنطقة وهذا ما عدا مخطط عملية التسوية إلى أن يجعلها في مسارين مسار المباحثات الثنائية بين إسرائيل وأطراف عربية، ومسار المفاوضات المتعددة الأطراف التي يشارك فيها أكثر من ثلاثين دولة وتناقش في لجان الموضوعات الستة.

ولقد جاء انعقاد مؤتمر قمة الدار البيضاء الاقتصادي آخر شهر أكتوبر ١٩٩٤ في إطار المساعي لإقامة نظام الشرق الأوسط وكان من الملاحظ فيه أن الدعوة لم توجه إلى إيران والعراق وليبيا وهي من الدول التي تعتبرها الولايات المتحدة رافضة، كما لم تحضر المؤتمر سوريا، ولم يحضره لبنان وحين سئل شمعون بيريس عن إمكانية قيام شرق أوسط جديد في غياب هؤلاء، أجاب: إنه لا يمكن ذلك، لكنه شدد على أن إسرائيل تؤيد السياسة الأمريكية تجاه الدول الرافضة وساتو الياباني أوضح في تصريحه سالف الذكر أن الغرب واليابان ينظران باهتمام إلى فرص السلام في المنطقة، لكن ما يخافونه هو أن تتزايد مشكلة إيران، في ظل التباين في وجهات النظر حول طريقة احتواء هذه الدولة وسياستها الراهنة وهذا الحديث يكشف عن مرمي الغرب والدول التابعة له من هذا النظام، كما يكشف عن كيفية تأثير تنفيذ المخطط في العلاقات العربية – الإيرانية وقد أدركت سوريا مبكراً الهدف من المفاوضات متعددة الأطراف، فقاطعتها مع لبنان والدعوة إلى مقاطعتها متزايدة في أوساط المفكرين العرب الاستراتيجيين، ومنهم أمين هويدي الذي دعا في مقال في الأهرام يوم ٣١ / ١ / ١٩٩٥ إلى مقاطعة اللجان متعددة الأطراف التي تحاول إسرائيل من خلالها نشل عوامل القدرة، من مياه وقوة بشرية ورأس مال وسوق كبيرة وطاقة، من جيب العرب.

واضح أن لعملية التسوية الجارية عند مصمميها واضعي مخطط نظام

الشرق الأوسط أهدافاً استعمارية تستهدف، فيما تستهدف، تخريب العلاقات العربية – الإيرانية، لتمكن إسرائيل من النفاذ إلى المنطقة، وقوى الهيمنة الغربية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية من إحكام سيطرتها عليها وقد حذرت صحيفة طهران تايمز بمناسبة انعقاد مؤتمر القمة الاقتصادية للدول العربية من فتح أسواقها لإسرائيل، معتبرة أن الدور الإسرائيلي في الأسواق العربية سيخدم إسرائيل وحدها.

وواضح أيضاً أن لعملية التسوية الجارية مضاعفاتها التي لم يكن بعضها في حسبان مصمميها وقد توقع حدوثها الفكر النابع من المنطقة. والمخططات الخارجية تتضمن دوماً ثغرات تؤدي إلى حدوث تناقضات عند تنفيذها، وليس هذا غريباً وواضعوها هم من خارج المنطقة، لا يفهمونها حق الفهم ويريدون بها شراً، وما أكثر ما اعترف أولئك المخططون بهذه الحقيقة بعد فوات الأوان ومثال على ذلك، وصف انتوني ليك، في مقاله في فورين افيرز، الاستراتيجيات الأمريكية تجاه إيران والعراق مرتين خلال السبعينيات، ثم الثمانينيات، بأنها كانت مدمرة.

وقد كرر ذلك الوصف مارتن انديك في مجلس الشيوخ في فبراير ١٩٩٤ ومعلوم كم عانت دائرتنا جراء هذه الاستراتيجيات المدمرة وانسياق البعض منا إلى الوقوع في شباك تفجير التناقضات بيننا وحين نستحضر تداعيات عملية التسوية ومضاعفاتها، نجد من بينها تصاعد الإرهاب الرسمي الإسرائيلي وازدياد الأطماع التوسعية التي تتطلع في

هذه المرحلة إلى الهيمنة الاقتصادية لما أسماه بعض مفكرينا العرب بـ إسرائيل العظمى في المخيلة الصهيونية، تماماً كما نجد تصاعد المقاومة وصلابة عودها وارتقاء عملياتها النوعية، بفعل روح الإيمان الفياضة التي اتسمت بها وتجسدت في جنوب لبنان وفلسطين ونجد تعثر عملية التسوية على كل المسارات، سواء تلك التي استطاعت قوى الهيمنة الدولية فرض اتفاقات مملاة على أطراف عربية فيها، أو التي لم تستطع ولقد توقع بعضهم في الغرب هذا التعثر مبكراً، ومنهم ميشيل جوبير الذي قال في دراسة له ربما تتوافر الفرص لتسوية عرجاء بين الإسرائيليين والفلسطينيين، تحرم المزايدات في الدول العربية من ميدانها المفضل، لكن يمكن للمرء أن يراهن بأنه إذا ما قام هذا الهدوء المقلقل، فإن المنازعات بين العرب ستستأنف بقوة أكثر فأكثر، مما يبرر ويسهل في آن واحد الوجود الأمريكي وما يصدق على العرب في ما بينهم يصدق على العلاقات العربية – الإيرانية بين بعض الدول العربية وإيران، حين يحدث الانسياق إلى تضخيم التناقضات الثانوية وتناسي التناقض الرئيسي مع العدو الخارجي الذي يتربص بها جميعاً.

لقد أدى زلزال المنطقة في مطلع عام ١٩٩١ إلى أن يزداد الوجود الأجنبي في المنطقة بفعل تضخيم التناقضات الثانوية؛ وواضح أن قوى الهيمنة الدولية تتابع استغلال عملية التسوية الجارية للحفاظ على وجودها المكثف فيه، بغية نهب ما يمكن نهبه من ثورات المنطقة

النفطية، ويعمد هذا النهب إلى وسائل عدة، منها بخس أسعار النفط الخام، ومنها أيضا استنزاف ثروات الأقطار المصدرة للنفط بشراء السلاح وواضح أيضاً أن قوى الهيمنة الدولية تستغل عملية التسوية الجارية، فضلاً عن إفساد العلاقات العربية – الإيرانية، في الانفراد بالدول التي تقاوم هيمنتها في الدائرة الإسلامية دولة بعد أخرى وها نحن نراها تعمد إلى فرض اللقاء مع إسرائيل على الأطراف التي وقعت اتفاقيات سلام، كما حدث يوم ٢ / ٢ / ١٩٩٥، وتحاول إيجاد مؤسسة من هذا اللقاء، كما صرح وزير الخارجية الأمريكي، تواجه الدول التي ترفض التوقيع وقد رأينا كيف حرصت بعض هذه الأطراف على أن تعلن عن عدم قبولها ذلك، وأن تعمل على وضع اللقاء في حجم صغير وتحاول التمسك بالنظام العربي.

ولعل من أهم الظواهر التي نراها اليوم في سماء دائرتنا الإسلامية ظاهرة الاستجابة لتحدي عملية التسوية التي تحاول قوى الهيمنة فرضها علينا، ونهوض الفكر في منطقتنا بدوره في أطر هذه الاستجابة وقد كان من أهم ما طرحه هذا الفكر ضرورة العمل لإقامة نظام إقليمي نابع من الدائرة الإسلامية جمعاء وكان جمال حمدان قد تحدث في كتابه استراتيجية الاستعمار والتحرير عن مثلث القوة الاقليمي الذي يضم في نطاق هذه الدائرة تركيا وإيران ومصر وقد تبنى محمد السيد سليم هذا المصطلح في بحثه في شئون الأوسط ونجد في إيران حديثاً عن شرق

أوسط ثقافي ثوري جديد يرتكز على الانتماء للإسلام ويضم الشعوب الإسلامية من آسيا الوسطى إلى شمال افريقيا في إطار مفهوم ثوري يقترب من المفهوم الإيراني للعلاقات الدولية كما يقول إبراهيم عرفات.

الصهيونية تصور إيران على أنها العدو الأوحد للعرب

لا يوجد في واقع العرب والمسلمين اليوم أوضح من أن إسرائيل هي العدو، وأن أميركا هي السند والمدد لذلك العدو وأن إيران وغيرها من الدول المسلمة المحيطة بالعالم العربي ليست عدوا، مهما اختلف العرب معها في المصالح الظرفية أو المشارب المذهبية.

لكن بعض القادة العرب المتعلقين بأميركا تعلقا وثنيا مصرون على تصوير إيران على أنها الخطر الأساس على المنطقة العربية، يسعفهم في ذلك ميراث من الصور النمطية السلبية التي يحملها كل من العرب والفرس عن بعضهم البعض، وفقر مدقع في الوعي السياسي لدى قطاعات واسعة من الشعوب العربية، وتحريض من الإسرائيليين المتمرسين بمهنة الإيقاع والدعاية.

وقد صرح نتنياهو في زيارته الأخيرة لواشنطن أمام تجمع اللوبي الصهيوني الأميركي المعروف بأيباك قائلا أستطيع أن أقول لأول مرة في حياتي إن العرب والإسرائيليين يرون اليوم عدوهم المشترك يقصد إيران

وزاد إيليوت أبرام الأمر تحديدا وتحريضا فكتب مؤخرا في صحيفة وول ستريت جورنال يوجد صراع خطير اليوم في الشرق الأوسط، لكنه ليس بين الإسرائيليين والفلسطينيين، وإنما هو صراع المتحالفين معنا ومن ضمنهم مصر والسعودية والسلطة الفلسطينية وإسرائيل والإمارات العربية المتحدة، ضد إيران وقطر وسوريا وحزب الله والجماعات الفلسطينية الإقصائية وإيليوت أبرام هو أحد رموز المثقفين الحركيين اليهود المعروفين بالمحافظين الجدد، وقد عمل مستشارا للأمن القومي مع الرئيس السابق جورج بوش الإبن.

الضرورات والمشكلات

العلاقات العربية – الإيرانية هي واحدة من أكثر المسائل حضوراً في حياة المنطقة، وربما في العالم، حيث يدرك كل المعنيين أن مصير هذه المنطقة يكاد يتقرر في ضوء الطريقة التي يتم فيها إدارة هذا الشأن سلباً وإيجاباً ولعل المخططين الاستراتيجيين في واشنطن وتل أبيب هم الأكثر إدراكاً لهذه الحقيقة، وهم الأكثر تصميماً على إدارة هذه العلاقات على نحو سلبي، وعلى استنفار كل الطاقات والإمكانات، واستنفار كل الجهود السياسية والأمنية والثقافية،وإثارة كل النعرات والعصبيات القومية والطائفية والمذهبية على ضفتي العلاقة بهدف منع تطور هذه العلاقات بالاتجاه السليم أولاً، ثم دفعها إلى مهاوي الانهيار والتوتر والاحتراب

ثانياً.

فالمخططون الاستراتيجيون في واشنطن وتل أبيب ، يدركون تماماً ان نجاح العرب في إقامة علاقات تعاون وتكامل وتفاعل مع أبناء دائرتهم الحضارية لاسيما في إيران وتركيا، هو من أقصر الطرق إلى نيل استقلالهم الكامل، والى انجازهم سلامهم الداخلي العميق، وإلى تحقيق مشروعهم الحضاري ، فيما فشلهم في ذلك يقود إلى أخطر أنواع التدمير الذاتي ونظرة المخطط الصهيو – أمريكي إلى هذه القضية لا تنفصل بالتأكيد عن نظرته الشاملة الى كامل قضايا المنطقة ، تماما مثلما تشكل إعاقة هذا المخطط للعلاقة العربية – الإيرانية، بنداً من بنود المشروع الصهيو أمريكي الشامل، الذي تتغير أسماؤه بين عقد وآخر لكن مضمونه واحد أبداً، إذ يهدف إلى تحقيق أمرين معاً أولهما الهيمنة الصهيو – أمريكية الكاملة على المنطقة وثانيهما التفتيت المستمر لكيانات المنطقة والتدمير الكامل لمكوناتها الثقافية والعقائدية والاجتماعية والاقتصادية والأمنية، أي تكريس الهيمنة من خلال التفتيت وتعميم التفتيت عبر توسيع نطاق الهيمنة.

ولن نكرر هنا ما بات معروفاً حول مشاريع تمزيق المنطقة وإطلاق مخططات التقسيم والفيدرالية التي يجري الترويج لها من العراق إلى السودان، مروراً بلبنان وهو البلد الذي لا تغيب عنه هذه المخططات مرة إلاّ وتعود لتطل مرة جديدة وصولا إلى إقامة كيانات انفصالية عديدة في

المنطقة بات حكامها يدركون تماما الخرائط الجديدة للدويلات المرشحة للانبثاق عن دولهم الحالية، كذلك لن نستعيد اليوم المقولات التي بشّر بها برنارد لويس منذ أوائل الأربعينات،وهو المفكر البريطاني الصهيوني صاحب الحظوة المميّزة لدى أصحاب القرار في واشنطن ولندن وبعض عواصم الغرب، والتي ترى إعادة تقسيم الشرق الأوسط الذي بدأ مع الاتفاقية البريطانية – الفرنسية: سايكس – بيكو بعد الحرب العالمية الاولى، بمشروع التفتيت الصهيو – امريكي باعتباره الضمان الدائم للحضور التخريبي في المنطقة، وللوجود الصهيوني الاستيطاني الاحتلالي في فلسطين.

في هذا المخطط التفتيتي العام، تشكل العلاقة العربية – الإيرانية بكل أشكالها، أحد الإغراءات الكبرى لجذب هذا المخطط، لأن تفاهماً عربياً – إيرانياً حقيقياً وعميقاً مبنياً على قواعد الاحترام المتبادل، والتعاون الصادق، والتكافؤ الدقيق، يشكل رافعة رئيسية لنهوض الطرفين، ويعزز عوامل القوة لديهما، فيما يقود التنافر العربي – الإيراني إلى إطلاق سلسلة من التداعيات المدّمرة ليس على صعيد العرب وإيران فحسب، بل على مستوى الدائرة الحضارية الإسلامية بأسرها، ناهيك بأثرها على مستوى العالم كله.

وكلنا يذكر ما فعلته الحرب العراقية – الإيرانية التي رفضنا كعرب اندلاعها منذ اللحظة الأولى، ورفضنا بعد ذلك استمرارها ، ورأينا فيها

فخاً استعمارياً وصهيونياً وقعنا فيه جميعاً، فخاً ما زالت تداعياته مستمرة حتى الآن من اجل تدمير اثنين من أقوى دول المنطقة وأهمها العراق وإيران، بعد ان نجح الفخ ذاته في إخراج مصر – الدولة القوية الكبرى- من حلبة الصراع مع العدو الصهيوني من خلال معاهدة كامب ديفيد وإذا كانت التهديدات اليومية الصهيو – أمريكية ضد إيران تذكرنا بتلك التهديدات التي مهدت لغزو العراق بعد حصار استمر ١٣ عاماً

ان أولوية ضرب العلاقات العربية – الإيرانية في المخطط الصهيو – أمريكي اذن لا تعود فقط الى حرمان العرب من عمق استراتيجي وشريك حضاري كإيران فحسب، ولا إلى محاصرة إيران بسور من الكراهية يحرمها من تحقيق مشروع نهضتها ومن وزنها الاقليمي فقط، بل هو أيضاً مرتبط بمسألتين بالغتي الأهمية:

المسألة الأولى: إن في العلاقة بين العرب والإيرانيين من وحدة العقيدة، ومن أواصر الكفاح المشترك، ومن مكانة مميزة لقضية فلسطين عموماً، وللقدس خصوصاً، ما يجعل من التلاقي العربي – الإيراني مسألة جدية من جهة، وخطيرة من جهة أخرى على مجمل المشروع الصهيو – أمريكي في المنطقة.

المسألة الثانية: إن في هذه العلاقة ثغرات ومشكلات والتباسات متعددة يمكن اللعب بها، والعزف على أوتارها، بما يحول هذه العلاقة من مسارها الايجابي لتتجه باتجاهات سلبية.

وبقدر ما تقتضي مصلحة العرب والإيرانيين العمل بكل جهد لتطوير ما هو ايجابي في هذه العلاقة، تاريخاً وحاضراً ومستقبلاً انطلاقاً من القيمة الاستراتيجية الكبرى لهذه العلاقة، فان مصلحة الطرفين أيضاً تقتضي معالجة جريئة وصريحة وصادقة لكل المعوقات والمشكلات القائمة في وجه هذه العلاقة، والتي يسعى أصحاب المخطط الصهيو – أمريكي إلى تغذيتها وتعميقها مستفيدين من ثغرات وجهات وحساسيات قائمة على ضفتي هذه العلاقة.

ففي المسألة الأولى يمكن أن نستعيد معاً صوراً مشرقة ومضيئة للعلاقة العربية – الإيرانية لا تكتفي بما نراه في الحاضر من مواقف إيرانية داعمة للمقاومة في فلسطين ولبنان، وللممانعة في سوريا، ولا بتلك الصورة المحفورة في وجدان كل عربي يوم انتصار الثورة في إيران في١٩٧٩ حين كان أول أعمالها طرد السفارة الإسرائيلية من طهران – الشريكة الرئيسية لنظام الشاه على امتداد سنوات، والمحّرض الرئيسي له ضد العرب لاسيما جمال عبد الناصر ، بل ان هناك صور من التاريخ ينبغي استعادتها دائماً.

ولقد لاحظ الأستاذ أحمد لواساني رئيس منبر الآداب الشرقية في الجامعة اللبنانية في ندوة العلاقات العربية – الإيرانية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع جامعة قطر عام ١٩٩٦، كيف ان الإسلام قد انحسر عن الأندلس بعد سقوط الدولة العربية، فيما لم ينحسر

عن بلاد فارس رغم عراقتها الحضارية وخصوصياتها القومية، مما يشير، سب قول لواساني، إلى وجود قرب وانسجام باللاوعي بين روح الأمتين العربية والإيرانية نفتقده بين العرب وشعب أيبيريا في الأندلس. وفي الإطار ذاته لاحظ لواساني أن جنود كسرى – قبل الإسلام- نزلوا أرض اليمن وطردوا الأحباش منها وأعادوا إليها ملكها العربي سيف بن ذي يزن، وسكنوا فيها وأطلق عليهم اسم الأبناء وقد كانوا في طليعة الذين دافعوا عن الإسلام في فترة حروب الردة.

وليس دور الإيرانيين في الذود عن بيت المقدس إبان الحروب الصليبية الآ الشاهد على عمق الترابط المصيري والنضالي بين أمتين، وسيبقى اسم الشاعر الفارسي الكبير سعدي ابن مدينة شيراز عاصمة مقاطعة فارس الذي سقط أسيراً بيد الصليبيين في طرابلس الشام رمزاً لهذه المشاركة الإيرانية في الدفاع عن عروبة المنطقة وعقيدتها ومقدساتها بوجه الهجمة الأجنبية.

هذه المخاطر الاستراتيجية والأمنية المشتركة لكل من إيران والعرب تشكل عنصراً آخر من العناصر الموجبة للتعاون العربي – الإيراني في إطار الدفاع عن السيادة كما عن المصالح الثابتة للطرفين. بالإضافة إلى الروابط الروحية والتحديات الاستراتيجية المتصلة بالأمن القومي بمعناه الشامل هناك مسألة أخرى تؤكد على أهمية تطوير العلاقات العربية – الإيرانية بهدف صيانتها، أي مسألة النفط، حيث

التعاون العربي – الإيراني بات احد ابرز العناصر التي تهدد الهيمنة الأمريكية على هذا القطاع الحيوي الذي تمسك منطقتنا العربية والإسلامية الجزء الرئيسي من إنتاجه واحتياطه.

فالخوف الصهيو – أمريكي من كفاح عربي – إيراني مشترك ضد المشروع الصهيوني، ومن تعاون نفطي بين الطرفين يؤدي الى زعزعة الهيمنة الأمريكية على هذا القطاع، يشكلان دافعاً كبيراً لتركيز هذا المخطط الصهيو – أمريكي على إعاقة العلاقة الأمريكية العربية، بل تشجيعه الدائم لجهات على ضفتي العلاقة من أجل تسعير الخلافات، وإثارة كل أنواع النعرات، حتى بات احد وسائل التقرب من واشنطن والغرب هو أن تقوم جهة عربية بالتحريض على إيران وجهة إيرانية بالتحريض على العرب.

أما المسألة الثانية، أو ما يمكن تسميته بالوجه الآخر من العلاقة فهو وجود جملة التباسات وحساسيات وثغرات في هذه العلاقة تسهل على أصحاب المخطط الصهيو – أمريكي مهمتهم، بل وتغريهم على المضي في خطتهم لإعاقة هذه العلاقة، بل للسعي إلى تغيير طبيعتها من علاقة تعاون وتكامل وتفاعل إلى علاقة تنافر وتناحر هنا، علينا ان نعترف كعرب وكإيرانيين إن هذا المخطط الصهيو – أمريكي،على قوته وخطورته وإلحاحه، لا يستطيع أن يحقق أهدافه إلا إذا فتحنا له الثغرات كي ينفذ منها، وان طريق إغلاق الثغرات هو مسئولية عربية وإيرانية،

بل إيرانية بالدرجة الأولى لأن إيران هي دولة واحدة رغم تعدد التيارات فيها، وقرار واحد رغم تباين الاتجاهات، ومرجع واحد رغم تنوع الاجتهادات، ومشروع واحد، بل إنها اليوم في مواجهة استهداف خطير لها كدولة وكثورة وككيان، الأمر الذي يحتم عليها ان تعتمد نهج تجميع القوى، وتوسيع الأفق، ومد اليد إلى الجميع وتجاوز الكثير من الحساسيات.

أما العرب، فهم أنظمة في اغلبها متناقضة مع طموحات شعوبها، أنظمة مستقوية بواشنطن وغير واشنطن على هذه الشعوب مقابل إذعان كامل أو شبه كامل لمشيئة البيت الأبيض، وهذه الأنظمة أيضاً ممنوعة من التلاقي، إلا من خلال واشنطن، رغم التقارب في نهج معظمها، أما الشعوب فمقهورة، مغلوبة على أمرها، مقيّدة بسلاسل حكامها الحديدية، وغارقة في عصبيات متناحرة، وفساد مستحكم، واستبداد مقيم، وهي إذا نجحت في الإفلات يوماً من تلك القيود والسلاسل لتطلق مقاومات ضد أعدائها، كما هي حال المقاومة في فلسطين والعراق ولبنان، فانها سرعان ما تجد نفسها محاصرة بلقمة العيش والاقتتال كما في فلسطين، وبالفتنة والإرهاب المتنوع الأشكال كما في العراق، وبالرهانات الخائبة والخوف من الانتصار كما في لبنان.

لذلك كله فان العلاقة العربية – الإيرانية لن تستقيم وتتطور وتتعزز، إلا إذا سعينا جميعاً إلى إرساء قاعدتين رئيسيتين لهذه العلاقة خصوصاً

أن علاقة الجوار التي تحكم العرب وإيران هي علاقة لا يمكن لأي طرف أن يلغيها، أو يتجاهلها، أو يتنكر لها، أن هاتين القاعدتين هما:

أولاً: فهم إيراني كامل لخصوصيات الواقع العربي بكل تعقيداته، ولاحترام مكوناته القومية والدينية والاجتماعية المتعددة، والتسليم بقدرة الأمة العربية على مواجهة مشكلات العلاقات بين دولها وجماعاتها وشرائحها دون أي تدخل خارجي وبالتالي السعي لتجاوز كل الحساسيات والرواسب والجراح التي ما زالت تتحكم بهذه العلاقة.

ثانياً: إدراك عربي صادق للبعد الاستراتيجي والحضاري للعلاقة مع إيران، للقوة الكبيرة التي يوفرها تفاهم عربي – إيراني على كل المستويات السياسية والاقتصادية والأمنية والدفاعية والثقافية والاجتماعية وبالتالي نبذ كل الدعوات الأمريكية والصهيونية للإيقاع بين العرب وإيران بمسميات مختلفة.

إن التسليم بهاتين القاعدتين يشكل اليوم مدخلاً لكل المشكلات والالتباسات القائمة، خصوصاً من بين هذه المشكلات تداخلاً وتشابكاً، حيث يؤدي بقاؤها إلى تغذيتها وتعميقها، فيما تؤدي معالجة الواحدة منها إلى معالجة بقية المشكلات.

الأوهام والحقائق في العلاقات العربية الإيرانية

هناك الكثير من الأوهام والحقائق المؤثرة في العلاقات العربية الإيرانية، من المهم تجليتها قبل الدخول في كثير من تفاصيلها، ويجري

في كثير من الأحيان الإصرار على بقاء هذه القضايا ملتهبة ومختلطة، ومن أهمها أوهام أن العلاقات العربية-الإيرانية خلافات سياسية ومحلية وتاريخية وعقائدية وصرف النظر عن حقائق لاعبين آخرين بهذه العلاقات وإغراق مستمر في الأوهام المحيطة بهذه العلاقات.

ومن أهم هذه الأوهام أن يزعم المرء أنه يناقش سياسة لحكومة عربية مستقلة تجاه قضية كبيرة كهذه، ليس لأن طبيعة السياسة تعلقها بالطرف الآخر الخارجي المعادل أو الراجح في الكفة المضادة، كما هي طبيعة المناقشات السياسية ودراستها، ولكن لأنه يصعب رؤية وتحديد هذه السياسات لأن غالب التأثير فيها في مكان آخر خارج المكان المتحدث عنه أو مرتبط بطرف ثالث في العلاقة، قد يكون هو المؤثر الرئيس في العلاقة.

ثم إن ذلك يصبح أصعب على مراقب عربي ليس جزءا من حكومة أن يتحدث عن سياسة البلاد العربية في أي قضية، لأنه سيتحدث عن سياسات ينتقدها، ليس لخللها أو فسادها فقط، ولكن لأنه لا يراها معبرة بأي طريقة عن بلاده ولا عن قضايا سكان المنطقة وأحيانا لا تعبر عن حكامها أنفسهم إلى حد كبير، ولأن رؤية وتصور شعوب المنطقة ومثقفيها غير موجودة في الواقع السياسي ولا مستوعبة في سياق من السياقات إلا في مجال الجهد لتغييب مصالح الناس واشغالهم بمعارك

ليست لهم. ولهذا يصعب القول بأن حكومات هذه البلدان تعبر عن قضايا المنطقة وتصوراتها ومصالحها ومن المهم التعرف على عدد من أهم المؤثرات في هذه العلاقة، منها :-

أولاً:-المؤثرات الداخلية في المنطقة:

- آثار تلك اللحظة الثورية في إيران، وما تصنعه الثورات دائما بالشعوب الثائرة من ثقة وعزيمة ورغبة في التوسع، وتحول في اتساع رغبة الثوار أو طبيعة الثورات في ضرورة المواجهات مع الخارج بعد حسم المواجهات الداخلية، فكان لا بد من وجود مكان لتنفيس الانفجار الثوري البدني والثقافي في مكان ما، وكان العراق أولا، وكذا صعود القضايا المذهبية، وكان يوم القدس وكان الطمع في سحب الملفات والقضايا العربية وتحويلها إلى ملفات إسلامية إيرانية شيعية وهذه قضايا مفهومة لدى دارسي قوانين الثورات إن كان لها فعلا هذه القوانين كما يرى برنتن في تحليله للثورات.

- الرصيد التاريخي لأمتين جارتين لم يصفُ الجو بينهما دائما، ولم يعد الدين قادرا على جمعهما بل تم استخدام الجغرافيا والتاريخ واللغة والمذهب والثروة والعلاقات الخارجية لإيقاد المزيد من الخلافات.

- الوهن المزمن في الحكومات العربية القريبة وعدم وجود مبادرات ذاتية لاجتثاث نوازع العداء، من خلال حكومات قوية وموثوق بها وذات مصالح ذاتية تدافع عنها وتستطيع توضيحها للعالم، وهذا من مظاهر غياب الحياة السياسية تقريبا في العالم العربي.

- انشغال إيران بالقيم العقائدية والخطاب الثوري عن التوجه لصياغة مواقف عملية، فشعارات مواجهة الاستكبار والعداء للغرب جعل اللجوء للواقعية والتعامل العقلاني صعبة المنال، ومتهمة في الداخل الإيراني.

- التوجه الإيراني وموقفه من الحكومات العربية فهو مبني على أن هذه النظم الموجودة تمثل النظام القديم الشاه الذي ولدت الثورة على أنقاضه، فيراها أنظمة غربية بواجهات محلية، مفروضة على الناس وليست منطلقة لا منهم ولا من ثقافاتهم ولا من حاجاتهم.

- ورثت الثورة من النظام القديم للشاه -وربما مما قبله- نزعة الكراهية العنصرية التي يثيرها مرة آداب ونصوص قديمة، وتثيرها نزعات قومية مليئة بالعنصرية، وتراث الفرق الدينية وميراث التنافر التركي الصفوي الذي كانت العراق غالبا ميدان مواجهاته وغرب إيران عموما.

- الموقف من القضية الفلسطينية، وسواء كان موقفا لذات القضية وعقيدة راسخة أو مراعاة للتدين الشعبي، أو مجرد وسيلة ضغط وانتقام

من الغرب، أو تفاوض أو توسيع لدوائر التأثير والأمن فإنه يبقى من القضايا والأسلحة المؤثرة على مختلف الأصعدة، ويوم والى الشاه الصهاينة كانت قضية خلاف مع العرب، ويوم ناصرت إيران الفلسطينيين كانت الحكومات العربية تتجه للصف الآخر فعادت القضية لتكون محطة خلاف، أو حجة لبعضه.

- السيطرة على مناطق عربية كجزر الإمارات، وابقاء التهاون في حل تلك المشكلات، بل وربما البحث عن المزيد من ممتلكات جديدة في أماكن أخرى في العراق.

ثانيا: المؤثرات الخارجية:

- الاحتلال الغربي لثروات وسياسة المنطقة، وقد أصبحت أمريكا تفاوض الصين على نفط الخليج والعراق في المحادثات الأخيرة للضغط على الصين حتى تقبل العقوبات على إيران، وتبني حكومات عربية للموقف الأمريكي من الصين، وتعويض ما ينقص من نفط إيران بسبب الحصار وقد أصبح النفط في المنطقة تقريبا ملكا لأمريكا وتحت هيمنتها بلا شريك.

- المصالح المشتركة الأمريكية الإيرانية في أفغانستان والعراق، وتعقيدات تدبير الصراع الدائم حولها.

- الموقع المؤثر المشترك للعرب والإيرانيين من تجارة العالم، إذ يعبر عبر مضيق هرمز ٤٠% من نفط العالم يوميا، وموقع قلب العالم حضاريا وتجاريا، ففي هذه المنطقة طريق الحرير و كذا في هرمز.

- الوجود الإسرائيلي، وهو عامل مهم بالتعاون مع الغرب في صرف الاهتمام من شروره العظمى إلى توجيه الاتهام والخوف إلى إيران، وتحسين الوجه العنصري والاحتلالي لإسرائيل، فهي قضية أساسية أن تجد الشعوب والحكومات العربية نفسها مشغولة بإيران على الحدود، وصامتة عما يحدث داخلها.

- وهناك التحريض الموقد للخلافات دائما، وهنا نموذج صادر من قبل أحد الدبلوماسيين البارزين، نشر بالانجليزية وبالعربية في مجلة شهيرة ولعله نشر بالفارسية أيضا وهو يحرض بفجاجة الطرفين كلا على الآخر من قبيل النقل عن العرب أنهم يرون أو يشبهون الإيرانيين بالأفاعي والكاذبين، والمهرطقين، ويزعم أن العرب يتذمرون من سؤال يسأله الإيرانيون دوما بقولهم: سيدي هل أنت مسلم أم سني؟ ثم ينتقل فيسب العرب على ألسنة الإيرانيين بأنهم بدو قوضوا حضارتهم الفارسية، ولغتهم حينا من الدهر، يتساءل لماذا يتباكى الإيرانيون على قضية عربية؟ ولماذا يوم القدس يكون في إيران، أليس لإبعاد الحكومات العربية عن شعوبها، وإثارة المقموعين ضد القامعين، وإعادة إثارة

الثورة الإيرانية في المناطق المجاورة، وتخويف من إيران التي ستستمر وتسير على شرعة إزالة الملوك كما حدث في إيران ١٩٧٩، ومن قبل العراق ١٩٥٩ واليمن ١٩٦٢ ، وليبيا ١٩٦٩، وأثيوبيا ١٩٧٤، وأفغانستان ١٩٧٣وهكذا يثير المقال نفسه قضايا الغزوات منذ ما قبل الإسلام والفتح الإسلامي، وقضايا اختلاف اللغتين والتنافس عليهما، ومقولات إيرانية تسخر من العرب يراها خالدة.

التعاون الإيراني الإسرائيلي لتدمير العراق

إن ما ينفذ في العراق ما هو الا تطبيق لنبوءات او تعليمات موضوعة في الكتاب المقدس الذي يتحدث عن دمار بابل وانتقام الرب من شعبها تلك النبوءات هي المحرك للعقلية المسيحية المحافظة التي حكمت البيت الأبيض وقد تم تشخيص العديد من الإشارات الدينية في خطابات بوش تثبت تعامله في قضيتي العراق وأفغانستان من وجهة نظر توراتية محافظة، فحين تحدث مثلا عن محور الشر (العراق وأفغانستان) كان في الحقيقة يقتبس تعبيرا ورد في التوراة لتحطيم هذا المحور انتقاما لبني إسرائيل ومعظم مصطلحاته وردت في التوراة والإنجيل، مثل الصدمة، والرعب، وما قاله الرئيس الأميركي عن المعركة برمتها» نها معركة الرأس، وغير ذلك من الإشارات الأخرى، إنما أخذت من الكتاب المقدس فمقولة إن ما يجري فوق أرض العراق أنها معركة رأس،

تفسيرها: ان ملك بابل المعاصر صدام يشبِّه نفسه دائما بنبوخذ نصر الذي ورد ذكره بالتوراة بالرأس، وهو رأس من ذهب، كما جاء في الإصحاح الثامن سفر دانيال الذي يصف رؤيا لنبوخذ نصر في منامه حين رأى تمثالا عظيما هائلا كثير البهاء وكانَ رأسُهُ مِنْ ذهَب خالص وصَدْرُهُ وذِراعاهُ مِنْ فِضَّة، وبَطْنُهُ وفخذاهُ مِنْ نُحاس، وساقاهُ مِنْ حديد وقدَماهُ بعضُهُما مِنْ حديد والبعضُ مِنْ خزَف،الى نهاية الحلم وقد طلب من النبي دانيال تفسير هذه الرؤيا فاخبره فأنتَ الرَّأسُ الذي مِنْ ذهَب وبَعدَكَ تقومُ مَملَكَةٌ أُخرى أصغرُ مِنْ مَملكَتِكَ، ثُمَ مَملَكَةٌ ثالِثَةٌ سِلاحُها مِنْ نُحاس تَتَسَلَّطُ على كُلِّ الأرض رابعَةٌ يكونُ سِلاحُها صَلْبًا كالحديدِ، لأنَّ الحديدَ يَسحَقُ ويَطحَنُ كُلَ شيءٍ ونتيجة لهذا صنَعَ المَلِكُ نبوخذنصَّرُ تِمثالاً مِنْ ذهَب، طُولُه سِتُّونَ ذِراعًا وعَرضُه سِتُّ أذرُع، وأقامَه في بُقعَةِ دُورا بإقليم بابل. ولربما والله اعلم أن التمثال المذكور هو جبل الذهب الذي اخبرنا عنه رسول الله محمد يوشك الفرات يحسر عن جبل من ذهب فمن حضره فلا يأخذ منه شيئا وما قاله آري فلايشر المتحدث باسم البيت الابيض: على صدام حسين الذي يشبه نفسه بنبوخذ نصر، ان يقرأ ما كتب على الحائط ويرحل من ارض العراق، لأنه في تلك الليلة تم اغتيال الملك بيلشاصر ملك بابل على يد ملك الماديين أي الفرس، وبيلشاصر هذا ابن الملك نبوخذ نصر الذي قضى على ملك اليهود بعد ان سجنهم في بابل وان ما كتب على الحائط جاء في سفر دانيال: إن الملك بيلشاصر أقام حفلا دعا

إليه ألفا من عظمائه من الرجال والنساء، وأمر بإحضار آنية الذهب والفضة، التي استولى عليها أبوه من هيكل سليمان بأورشليم، وشربوا فيها الخمر وفي لحظة ابتهاجهم، ظهرت يد إنسان على الحائط، وكتبت ثلاث كلمات غامضة المعنى، وهي: ١ ـ منا ٢ ـ تقيل ٣ ـ فرسين فذهل الملك بيلشاصر عندما رأى هذه الكلمات، وطلب من منجميه فك رموزها، فلم يتمكنوا.

فأشار إليه أمه إلى أن يلجأ إلى النبي دانيال، الذي كان سجينا في بابل، وفسر له الكلمات بالتالي: منا تعني إن الله قد أحصى أيام مملكتك، ووضع لها حدا تقيل هي انك وضعت في الميزان ولم يعد لك وزن. فرسين تفسيرها ان مملكتك قد قسمت، وتم تسليمها إلى الفرس والماديين ويرد ذكر أواني الذهب التي أحضرت إلى بابل كغنائم مع اليهود المسبيين عدة مرات في نصوص التوراة ففي سفر ارميا الفصل رقم ٢٧يخاطب الرب بني صهيون يدعوهم إلى الخضوع لملك بابل لان في هذا خلاصهم ومصلحتهم في وقتها وان ينتظروا الوقت واليوم الذي سيصيب بابل غضب الرب ويمكنهم منها، عند ذاك يستردون كنوزهم - ستُؤخذُ إلى بابلَ وتكونُ هُناكَ إلى يومِ أعاقِبُ بابلَ فأستَردُّها في ذلِكَ الوقتِ وأعيدُها إلى هذا المَوضِع ربما هذا تفسير لأعمال النبش والتخريب التي أحدثها الاحتلال في بابل التي لم يسمح لأحد بدخولها ومعرفة ما يرتكبونه سواهم،لعلها كانت للبحث عن تلك الكنوز ,نعيد

استذكار تصريحات مستشار الأمن القومي الأميركي ستيفن هادلي بقوله إن بقاء قوات الاحتلال يخدم إسرائيل وانسحابها يهدد أمنها وعدم انسحابها بشرى لإسرائيل ويشير بيتر ليفيندا في مقالته تفكيك العراق ان صدام حسين كان قد عزز تاريخ بابل وأعاد إحيائه كمحاولة لجعل العراقيين فخورين بتراثهم القديم، مع إدراكه أن العداء الأمريكي للعراق هو محاولة لمنع نهوض بابل جديدة، محاولة مدعومة من التحالف الأمريكي مع إسرائيل، فان إسرائيل –التي بانتظار أن يكتمل بناء هيكل سليمان وظهور المسيح- لا ترغب فى رؤية إعادة اعمار مماثلة في مدينة بابل، عدوها التوراتي ،لقد حرص بوش على جمع تأييد لحملته العسكرية على العراق واعتبر عدم تأييده ومساندته فيها حربا على أمريكا، وعبر عن ذلك أكثر من مرة بعبارته الشهيرة من ليس معنا فهو ضدنا .

واعتمدت الإدارة الأمريكية على توظيف نصوص الكتاب المقدس للتأكيد على أن العراق هو بابل العظمى التى سوف تدمر نهائيا لتبرير الحرب على العراق واحتلاله الذي جاء تطبيقا لتلك النصوص التي يؤمن بها بوش وإدارته قولا وفعلا لخدمه المصالح الإسرائيلية ومن حيث صحة تلك النصوص او تحريفها فالحديث يطول، ومن المعروف أن أجزاء كبيرة من التوراة أعيدت صياغتها بعد عودة اليهود من الأسر البابلي وسرعان ما ظهرت في طبعة منقحة تضمنت الكثير من فقرات

التحريض والتهديد ضد أرض الرافدين والكثير من النصائح والإرشادات حول كيفية إثارة الفتن بين أهلها

كثيرة هي النصوص التي توعدت بابل بالدمار ويصف هذا النص مدى الرعب الذي سيحل في نفوس اهل بابل جراء غضب الرب الذي انزله عليهم وهو ما حاولت تطبيقه قوات الاحتلال فعلا، كالصدمة والرعب. وتم معاملة الشعب العراقي بمنتهى القسوة وعمليات التعذيب والاذلال خلال استجواب الرجال والنساء وحتى الاطفال في مواقف عدة من ضمنها فضيحة ابو غريب والتي كشفت لنا انها تمت بدفع من الادارة الامريكية وبعلم ودعم من بوش ورامسفيلد شخصيا.

اضافة الى عدة حالات تم تسجيلها من اجبار السجناء على شرب الخمر واكل لحم الخنزير وترديد عبارات من الكتاب المقدس ففي سفر إرميا فصل رقم ٥١ : ٤٠ قالَ الرّبُّ: أُخاصِمُ معَكِ وأنتَقِمُ لَكِ، فأُجفِّفُ نَهرَ بابلَ وأُنَشِّفُ يَنابيعَها، وتَصيرُ بابلُ رُجمًا ومأوى لِبناتِ آوى، ومَثارَ رُعْبٍ وصفيرَ هُزءٍ لا يَسكُنُها أحدٌ ويتحدث سفر إرميا في الفصل رقم ٥٠- دمار بابل ورجوع بني إسرائيل- عن انتقام الرب من بابل و تسليطه عليها عقابا يذهل العالم ومِنْ غَيظِ الرّبِّ حيث لا تُسكَنُ، وتكونُ كُلُّها خرابًا وكُلُّ مَنْ يَمُرُّ ببابلَ يُدهَشُ ويصطفُّ رُماةُ السِّهامِ على بابلَ مِنْ كُلِّ جانِبٍ مَلِكُ أشُّورَ أوَّلُ مَنِ افْتَرَسَهُم، ونبوخذنَصَّرُ مَلِكُ بابلَ آخرُ مَنْ سحَقَ عِظامَهُم اي اليهود فيعاقِبُ الرب مَلِكَ بابلَ وأرضَهُ ونجدهم ينفذون تلك

النبوءات باعتقادهم بانه سيكون هناك دور للإيرانيين الميديين -بنو مادي في تحقيق حلمهم بتدمير بابل من خلال تمكينهم منهم وتسليطهم عليهم كما في نصوص عديدة مثل سفر إشعيا فصل رقم ٢١سقوط بابل:(وحيٌ على بابلَ: كالزَّوابع تَجتاحُ الصَّحراءَ يجيءُ الخرابُ مِنْ أرضٍ مُخيفة رأيتُ رُؤْيا قاسيةً النَّاهِبُ يَنهَبُ والمُدمِّرُ يُدمِّرُ إصعَدي لِلهُجوم يا عيلامُ حاصِري المُدُنَ يا مادَايُ ضَعي حدًا لكُلِّ نُواح وإشعيا فصل رقم ١٣عقاب بابل 1713) :ها أنا أُثيرُ عليهم بَني ماداي فهؤلاءِ لا يُبالونَ بالفِضَّةِ، ولا هُم يبتَهجونَ بالذَّهَبِ ما قِسِيُّهُم تُمزِّقُ الفِتيانَ ولا ترحَمُ ثمرَةَ البَطنِ وعُيونُهُم لا تُشفِقُ على البنينَ فإذا بابلُ زينَةُ الممالِكِ وفخرُ أمجادِ الكَلدانيِّينَ تصيرُ كسَدومَ وعمورَةَ عِندَما دَمَّرَهُما اللهُفلا يَسكُنُها أبدًا ساكِنٌ، ولا تُعمَرُ إلى جيلٍ فجيلٍ. وفيها لا يُخيِّمُ أعرابيٌّ ولا ترعَى هُناكَ رُعاةٌ، ٢٢تعوي في أبراجها بناتُ آوى والذِّئابُ في قُصورها المُترَفَةِ. وقتُ بابلَ على الأبوابِ، وأيّامُها لا تطولُ) إرميا فصل رقم ٥١) انتقام الرب من بابل : ١١سُنُّوا السِّهامَ واَملأوا الجعابَ، فالرّبُّ أثارَ رُوحَ مَلِكِ ماداي لأنَّهُ نوى أنْ يُدَمِّرَ بابلَ انتِقامًا ويَثأرَ لِخرابِ هيكَلِه.

وتفسير النصوص الاخيرة نجدها في سفر عزرا ١: ١-١٠: ٤٤ الذي يخبرنا انه بعد تمام كلام الرب بفم نبيه ارميا نبه الرب روح كورش ملك فارس فجعله ينادي ويدعو الى ان الرب اوصاه ببناء بيتا له في اورشليم التي في يهوذا ودعا الى التبرع لبناء هذا البيت بالذهب

والفضة، كما انه اعاد الى اورشليم بعض الاواني التي احضرها نبوخذ نصر الى بابل بعد سبي اليهود فقد ساعد اليهود الذين تم سبيهم الى بابل سابقا وغادروها وعادوا الى اورشليم ببناء الهيكل بمساعدة ملك فارس.

هذه القصة تفسر النصوص المذكورة، والتي تضعنا امام حقيقة ان اليهود يجدون الفرس والميديين اكثر رفقا وتعاونا من العراقيين البابليين الذين طالما ذاقوا منهم العذاب فعندما أسقط الامبراطور الفارسي كورش الثاني الدولة البابلية الكلدانية بمساعدة يهودية، وانتصر على ميديا، و مد نفوذه إلى فلسطين التي دخلت في عصر السيطرة الفارسية تمتع اليهود في منطقة القدس بنوع من الاستقلال الذاتي تحت الهيمنة الفارسية وما لبثت هذه المدة إلا أن آلت إلى الزوال بقدوم الاسكندر الأكبر ثم السلوقيون فالإغريق الذين قاموا باضطهاد اليهود إلى أن جاء الرومان وظهر المسيح عيسى ابن مريم ، ثم ثار اليهود على حكم الرومان الظالم واستطاع الرومان إخماد ثورة اليهود ودخلوا القدس بعد حصار شديد وأعملوا القتل و النهب و الحرق، و دمرو الهيكل حتى لم يبق حجر على حجر وازداد عداء الرومان لليهود بعد دخولهم النصرانية.

ثم إن الفرس لما ملكوا بيت المقدس وقتلوا النصارى وهدموا الكنائس أعانهم اليهود على ذلك و كانوا أكثر قتلا و فتكاً في النصارى من الفرس. فاليهود كانوا مكروهين من جميع الشعوب التي أحاطتهم فقد عاداهم المصريون والآراميون والفلسطينيون الكنعانيون والآشوريون و

البابليون والكلدانيون والإغريق ممن خلفوا الإسكندر المقدوني والروم والنصارى والأنباط ثم العرب المسلمون ولم يصادق اليهود في كل تاريخهم القديم إلا المجوس الفرس الذين حالفوهم و نصروهم .

وبعيدا عن التاريخ لنستعرض الواقع، فمن جهة التعاون بين إيران وإسرائيل عن طريق امريكا،نذكر وثائق عديدة منها حين أصدرت حكومة نتنياهو امر يقضي بمنع النشر عن اي تعاون عسكري او تجاري او زراعي بين إسرائيل وإيران وهذا لتغطية فضيحة رجل الاعمال اليهودي (ناحوم منبار) المتورط فى تصدير مواد كيماوية لصنع غاز الخردل السام الى إيران (١) ونقلا عن كتاب الموساد للعميل السابق في جهاز الاستخبارات البريطانية (ريتشارد توملينسون) : وثائق تدين جهاز الموساد لتزويده إيران بمواد كيماوية وقامت شركة كبرى تابعه لموشيه ريجف الذي يعمل خبير تسليح لدى الجيش الإسرائيلي ما بين ١٩٩٢-١٩٩٤ ببيع مواد ومعدات وخبرات فنية إلى إيران .

وقد كشف عن هذا التعاون بصور وثائق تجمع بين موشيه والدكتور ماجد عباس رئيس الصواريخ والأسلحة البيولوجية بوزارة الدفاع الإيرانية وصحيفة هارتس اليهودية نقلا عن الشرق الأوسط عدد ٧١٧٠ ويجب أن لا ننسى، الحملة المضادة للإرهاب في البوسنة التي نسقت

---

١) الشرق الاوسط / العدد ٧٣٥٩

لها أمريكا مع السعودية وإيران بعملية مشابهة لعملية إيران كونترا الشهيرة ردا لجميل الأمريكان لمساعدتهم فى بيع الأسلحة لهم عن طريق إسرائيل أثناء حربهم مع العراق والمتورط فيها عدد كبير من المسئولين داخل حكومة الولايات المتحدة .

ولا يخفى على الجميع ما حققته إيران من انجازات ومنافع لا تحصى من احتلال وتدمير العراق على يد الأمريكان فهاهي إيران تمد نفوذها في العراق بشكل واضح وفاضح، فاستولت على المحافظات الجنوبية، وسلطت ميليشيات بدر الإيرانية على أبناء الشعب العراقي وتعاونها مع أمريكا من خلال حزبي الحكيم والدعوة التي يحمل قادتهما الجنسية الإيرانية والمرتبطين بشكل مباشر بإيران، للتمهيد لغزو العراق.

وبالرغم من الحملات الاعلامية والإتهامات بين الدولتين، إلا أن تلك الحملات لم تكن سوى حملات موجهة بعناية لنوع معين من المستمعين الذين يتوقعون من كلا الدولتين مثل تلك الحملات الباعثة على الإثارة، وخصوصاً استعمال ملالي طهران لعبارات مثل الشيطان الأكبر وغيرها من الشعارات.

إسرائيل والأمن القومي لإيران والعرب

يتحدد موقع إسرائيل بالنسبة إلى الأمن القومي لكل من إيران والوطن العربي تبعاً لحقيقة كونها دولة استعمار استيطاني بالأصالة والوكالة لحساب الصهيونية العالمية والاستعمار العالمي على حد تعبير جمال

حمدان فإيران والوطن العربي يقعان ضمن الدائرة الإسلامية وينتميان إلى الحضارة الإسلامية وإسرائيل اغتصبت فلسطين التي تقع في موقع مهم من الدائرة الإسلامية، وهي بعد أن تكونت تجمعاً استعمارياً استيطانياً تعمل لنفسها ولقوى الهيمنة الغربية، للتحكم في المنطقة. لقد حدث في مطلع عام ١٩٩٥ أثناء كتابة هذا البحث أن تلقت وكالات الأنباء يوم ٧ / ١ / ١٩٩٥ خبر صدور تهديدات إسرائيلية بضرب مفاعلات إيران النووية وفي الفترة نفسها، نقلت هذه الوكالات تصريحات لرئيس الوزراء الإسرائيلي تهدد مصر والدول العربية وتتحدث عن حرب وجاءت هذه التهديدات لدى زيارة وزير الدفاع الأمريكي بيري إلى المنطقة وكانت إسرائيل قد دأبت في النصف الثاني من عام ١٩٩٤ على اتهام إيران بمساندة الإرهاب، واتهام دول وقوى عربية بأنها إرهابية، مرددة اتهامات أمريكية لهذه الدول والقوى وإذا ما استحضرنا ما قامت به إسرائيل من ضرب للمفاعل النووي العراقي في يونيو ١٩٨١ تنفيذاً لهدف أمريكي إسرائيلي، ندرك مدى جدية هذه التهديدات الإسرائيلية، حين تأتي تنفيذاً لسياسة أمريكية، ويتضح لنا الخطر الذي تمثله إسرائيل للأمن القومي لكل من إيران والوطن العربي.

ومن الملفت أنه على الرغم من وضوح هذا الخطر لكل من الإيرانيين والعرب على أمنهم، فإننا نجد أن إسرائيل نجحت في إقامة اتصالات ببعض دول المنطقة، سرية في غالب الأحيان، وإن بدأت تتجه إلى العلنية

بعد انعقاد مؤتمر مدريد في ٣٠ / ١٠ / ١٩٩١ وقد جاءت هذه الاتصالات دوماً في ظل تفجر خلافات بين الدول الشقيقة في الوطن العربي والعالم الإسلامي على السواء واستهدفت النفخ في الصراعات الناشبة من جهة، بغية إضعاف أطرافها واستنزاف طاقاتهم، والتغلغل في المنطقة في جهة أخرى، بغية الوصول إلى دور قيادي فيها وواضح أن هذا الأمر أيضاً يتضمن في نهاية المطاف خطراً إسرائيلياً على الأمن القومي لكل من إيران والوطن العربي. وهو يكشف في الوقت نفسه عن تعقد مسألة الأمن القومي في ظل أوضاع المنطقة السائدة والخريطة السياسية لدولها التي كان للدول الاستعمارية دور بارز في رسم الحدود بينها.

إن جوهر عقدة الأمن القومي لكل من إيران والوطن العربي هو وجود خطر خارجي بالغ يهددهما معاً وكل الدائرة الحضارية الإسلامية التي تضمهما، ويبرز هذا الخطر أكثر ما يبرز على مياه المنطقة التي تقع بينهما، وتمثل إسرائيل فيه رأس الحربة بين الخطر أكثر ما يبرز على المياه التي تقع بينهما، وتمثل إسرائيل فيه رأس الحربة بين قوى الهيمنة الخارجية ثم إن هناك تناقضات بين إيران وبعض جاراتها الشقيقات العربيات بسبب الحدود واختلاف السياسات؛ الأمر الذي جعل نشوب الحرب العراقية ـ الإيرانية ممكنة الحدوث عام ١٩٨٠ والاستمرار ثماني سنوات، وجعل العلاقات متوترة بين إيران وبعض بلدان المنطقة الأخرى.

وقد برزت هذه التناقضات أيضاً بين بعض البلدان العربية واشتدت بفعل غلبة النظرة القطرية وهكذا أصبح من الضروري عند الحديث عن الأمن القومي العربي تحديد المقصود، وتوضيح علاقته بالأمن الداخلى، وبالأمن الإقليمي وأمن المجموعات الإقليمية، واستحضار مصادر التهديد وكيفية التعامل معها والسياسات الأمنية التي يمكن رسمها وصياغتها بغية دعم الأمن والحفاظ عليه وقد تساءل عدد من الباحثين ومنهم عبد المنعم المشاط هل يمكن في الظروف الراهنة الحديث عن أمن قومي عربي، أم أن هناك تحولاً كاملاً ونهائياً نحو الأمن القطري بكل ما يعنيه من خيارات قطرية قد تتناقض مع الأمن الجماعي.

إن التهديد الإسرائيلي للأمن القومي لكل من إيران والوطن العربي نابع من العلاقة الاستراتيجية التي تربط الكيان الصهيوني بالولايات المتحدة الأمريكية، وبسياسة الولايات المتحدة تجاه العالم الإسلامي بصورة عامة و المنطقة بصورة خاصة وقد تحدث وليام كوانت عن هذه السياسة بعد عاصفة المنطقة قائلاً دعونا نذكر أنفسنا بالمصالح الأمريكية في الشرق الأوسط وماذا تكون فعلاً في عصر ما بعد الحرب الباردة؟ لا يزال لدينا مجموعتان من المصالح السياسية والاقتصادية المحددة التي تشدنا إلى هذا الجزء من العالم، وهي ببساطة النفط وإسرائيل فالولايات المتحدة أكبر مستورد للنفط في العالم، وباعتبارها القوة العظمى لا يسعها عدم المبالاة بنفط المنطقة والالتزام الأمريكي لإسرائيل وإن لم تكن جذوره

ممتدة إلى مصالح اقتصادية أو سياسية ملموسة، فهو على الأقل مصلحة آمرة كمصالحنا في المنطقة، لاعتبارات سياسية أمريكية محلية في الأساس ونتساءل عما إذا كانت إحدى المصلحتين تعزز الأخرى الجواب بوضوح لا ومن هنا أهمية السلام في الشرق الأوسط.